



جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

قسم الفقه وأصوله

أسلوب التمني في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)

بحث تقدمت به الطالبة هدى نصيف محمد الى مجلس كلية العلوم الاسلامية قسم الفقه
واصوله وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في العلوم الاسلامية

أشرف الأستاذة : حوراء كاظم الخزاعي

اعداد الطلبة : هدى نصيف محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

" وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنَّ سعيه سوف يُرى ، ثم
يجزه الجزاء الأوفى "

صدق الله العلي العظيم

(سورة النجم آية : ٣٩-٤١)

الإهداء

بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على نبيه المرسل رحمة
للعالمين

اهدي بحثي التواضع هذا الذي هو ثمرة جهدي المتواصل إلى من حصده
الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم
إلى القلب الكبير(والدي الحنون)

إلى رمز الحب والحنان وبلسم الشفاء (أمي الغالية)

إلى من وقف إلى جانبي طيلة مسيرتي الدراسية وجاهد من أجلي
.....(زوجي العزيز)

والى جميع أساتذتي الكرام وعلى وجه الخصوص أستاذتي الفاضلة
.....الست (حوراء الخزاعي المحترمة)

المحتويات

الإهداء

المقدمة

التمهيد / تعريف التمني لغة واصطلاحاً

وأسباب التفاوت بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب
البشر

وأيضاً تناول التمني بالاسم ، والتمني بالفعل ، والتمني
بالحرف

المبحث الأول / التمني بالصيغة المباشرة ويشمل :

معنى الصيغة المباشرة لغةً واصطلاحاً

معنى التمني بالصيغة

التمني بالصيغة المباشرة

التمني ب(ليت)

المبحث الثاني / التمني بالصيغة الغير مباشر

المقدمة

الحمد لله الذي رفع السماء بلا عمد ، وانزل قرآنا عربيا لذوي البصائر والرشد ،
والصلاة والسلام على خير المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه الكرام
ومن تبعهم بإحسان

أما بعد فإن بالإيماء والملح والمدح في اللغة وتغيراتها وعند المفاضلة والموازنة
بين نصوصها وأمام التغير والثبات في الرؤية والفكرة ، سواء بالوحدة فيها أم
بالتنوع ، يبرز النص القرآني بوصفه المعيار الأول في استقصاء الصورة المثالية
للجملة العربية ، فبخواصه تكون الاستثارة ماثلة في العقول والأذهان ، وبجمال
نظمه يمكن التدليل على مقدار التدنوق عند أهل البيان ، إذ هو الموصل إلى حقيقة
التوافق في الاستعمال اللغوي الذي يخيل ألينا أحيانا في بعض تراكيبه أنه يخالف
فكانت المبادرة هي دراسة موضوع التمني في القرآن الكريم .

إذ يُعد أسلوب التمني في القرآن الكريم ظاهرة لغوية تعالج الكثير من أمور الدين
والدنيا والحياة والآخرة ، ولم يحظ هذا الأسلوب فيما وقفت عليه بدراسة مثقلة
مستوعبة الصورة على اختلاف أنواعها ومعانيها الدلالية وخصائصها الأسلوبية كما
وردت في كتاب الله تعالى بالاهتمام الذي يستحقه ، وقد تفرقت موضوعاته بين كتب
التفسير واللغة والأعجاز والبلاغة

التمهيد

التمني لغة واصطلاحاً

التمني لغة : والمنى : جماعة المنية ، وهو ما يتمناه الرجل ، والأمنية : أفعولة وربما طرحت الألف فقيل (منية على فعلة ، وجمعها منى)^(١) ، والأمنية واحدة الأماني ، فتقول : تمنيت الشئ ومنيت غيري تمنية ، وتمنيت الكتاب قرأته^(٢) ، وتمنى الإنسان أملاً يقدره قال قومٌ: أنه ذلك الشئ الذي يرجو ، وتمنى الشئ : أراده ومناه إياه تمنية ، وهي المنية بالضم والكسر والأمنية بالضم^(٣)

والتمني : الكذب ، وفلان يتمنى الأحاديث أي يفتعلها^(٤) ، قال ابن فارس : الميم والنون والحرف المعتل أصلٌ واحد صحيح يدل على تقدير شئ ونفاذ القضاء به^(٥)

فالتمني في اللغة : تقدير شئ في النفس وتصويره فيها ، وذلك قد يكون عن تخمينٍ ورضن ، وقد يكون عن رؤية وبناء عن أصل .^(٦)

ولكن لما كان أكثر من تخمين وعدم رؤية صار الكذب له أملك ، فأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له " ^(٧)

وجاء في قوله تعالى " أم للإنسان ما تمنى " ^(٨) " ولا يتمنونه أبدا " ^(٩)

ويطلق التمني أيضا على التلاوة ومنه قوله تعالى " وما أرسلنا قبلك من رسول لولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " ^(١٠) أي تلاوته فيحصل في نفوس كفار قريش أو هام لما ألقاها الشيطان في تلاوة النبي (ص) ^(١١)

-
- ١- العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، مادة منى ، ج ٨ ، ص ٣٩٠
 - ٢- الصحاح ، لإسماعيل الجوهري ، مادة (منا - ومى) ، ص ١٠٠٤
 - ٣- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس
 - ٤- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، ج ١٥ ، ص ٢٩٤
 - القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز أبادي ، ص ١٢٤٥
 - ٥- لسان العرب ، لأبن منظور ، ص ٢٠٣
 - ٦- المفردات ، للراغب الأصفهاني ، ص ٧٧٩
 - ٧- لسان العرب ، لأبن منظور ، ص ٢٠٣
 - ٨- سورة النجم ، آية ٢٤
 - ٩- سورة الجمعة ، آية ٧
 - ١٠- سورة الحج ، آية ٥٢
 - ١١- الفتح القدير الجامع بين الدراية والرواية من علم التفسير ، ج ٣ ، ص ٤٦٢

التمني في الاصطلاح

هو طلب حصول أمر محبوب في المستقبل أو الماضي لا يرجى حصوله أبداً،
والعبارة عن ذلك تكون ب (لعل) و (عسى) ^(١) ، وليس معنى هذا أن التمني للأمر
المستحيل تحقيقه أبداً، والترجي لطلب الممكن حصوله دائماً، هذا الاعتقاد خالٍ من
الدقة ؛ ذلك أن التمني للمستحيل ، وقد يكون لغير المستحيل كما في قوله تعالى " يا
ليت لنا مثل ما أوتي قارون " ^(٢) فهذا التمني ممكن وليس مستحيلاً لكن صعوبة
تحقيقه تجعل المتمنين غير متوقعين له .

وقد ذهب القدماء في تعريفهم للتمني إلى القول " هو طلب حصول شئ على سبيل
المحبة ولا يشترط إمكان التمني بخلاف الترجي ^(٣)

لكن إذا كان التمني ممكناً محبوباً ، وأن لا يكون لك توقع وطماعية في وقوعه وإلا
صار ترجياً ^(٤)

وهذا ما استقر عليه المحدثون ، فقد كادوا يُجمعون على أن التمني : هو طلب
حصول الشئ المحبوب الذي لا يرجى حصوله ، أما لكونه مستحيلاً وأما ممكناً
ولكنه بعيد الحصول وغير مطموع في نيته ، فإذا كان الأمر المحبوب مما يُرجى
ويتوقع حصوله كان ترجياً ^(٥)

١- مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح ، لأبن يعقوب المغربي، ج٢، ص ٢٤٣

٢- سورة القصص ، آية ٧٩

٣ - مختصر المعاني ، لسعد الدين التختنازاني ، ص ١٢١

- الإتيان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ج ٢ ، ص ٢٢

٤- مختصر المعاني ، لسعد الدين التختنازاني، ص ١٢١

٥- البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس ، ص ١٥٦

وأختلف أهل العربية هل التمني خبر ومعناه النفي ، أو ليس خبراً؛ ولهذا لا يدخله الصدق والكذب ؟

ففيه قولان عندهم وقد حكى بن فارس عن قوم قولهم أنه من الأخبار ؛ لأن معناه ليس إذا قال القائل (ليت لي مالاً) فمعناه (ليس لي مالاً ، وآخرون يقولون لو كان خبراً، لجاز تصديق قائله أو تكذيبه وأهل العربية مختلفون فيه على هذين الوجهين (١).

وقال الزمخشري : ليس التمني من أعمال القلوب ، إنما قول الإنسان بلسانه ، ليت لي كذا (٢).

١- أ صاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها ، و سنن العرب في كلامها ، ص ١٤١
٢- الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج ١ ، ص ١٩٣
- الكليات ت ، لأبي البقاء الكفوي ، ص ٣١٤- ٣١٥

الأسلوب القرآني وخصائصه

تشير معاجم اللغة إلى أنَّ الأسلوب بضم الهمزة : الطريق والفن ، وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم

كما يقال للسطر من النخيل : أسلوب ، وقل طريقٌ ممتد^(١)

وينكون الأسلوب من المعنى المتمكن في النفس ، ومن العبارة الصوتية التي تعلن عما تكنه تلك النفس^(٢)

وعرف الأسلوب اصطلاحاً : ما يشمل كل أنواع الأساليب على اختلافها وتعددتها

فقل هو طريقة للتعبير

وفي كثير من الأحيان قد أقتصر في تعريفه على نوع واحد من الأساليب، وهو الأسلوب الأدبي، الذي يهتم به الدارسون في الأدب العربي ، فقالوا هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير^(٣)

وأنسب ما قيل في تعريف أسلوب القرآن الكريم " انه الطريقة التي أنفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه^(٤)

١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد الفيومي ، ص ٣٣٥

٢- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور ، ص ٣١٩

٣- الأسلوب ، أحمد الشايب ، ص ٣٢

٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٠٣

أسباب التفاوت بين أسلوب القرآن وأسلوب البشر

يرجع سر التفاوت بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب البشر إلى أمور منها :

١- قوة النسج الذي نجده جليا في أسلوب القرآن ، وأحكام في السرد بحيث لو قرأته كله من أوله إلى آخر لا تحس بنبوة أو كفر وإنما تنتقل من معنى لآخر ، أو من موضوع إلى موضوع ^(١)

٢- أن هذه الأحكام وتلك القوة في الأسلوب القرآني نجدها في سور القرآن المكية والمدنية على السواء ، فهو لا يختلف في هذه عنه في آيات الأحكام التي تعددها ، وهذا ما لا نجده عند فصحاء العرب شعراء وخطباء .

٣- وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم نسقٌ واحد وهذا ما يجعله يختلف عن أساليب البشر ، حيث كانت أمزجتهم تنعكس على أساليبهم ، والأسلوب لا يختلف بين أديب وأديب فحسب ، ولكنه يختلف عند الأديب الواحد ، حيث يعالج فنين مختلفين كالقصة والمقال.

١- أعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص ٢٠١

التمني في القرآن الكريم

ورد التمني في القرآن الكريم بالاسم والفعل والحرف

إما التمني بالاسم فوروده في موضع واحد في القرآن الكريم ، وأما التمني بالفعل فقد كان واقعا ب(ودّ) في خمسة عشر موضعاً^(١)

وأما بالحرف فالحرف الموضوع للتمني هو (ليت) وقد ورد في أربعة عشر موضعاً في القرآن الكريم

وخرجت بعض الحروف عن أصل وضعها فأفادت التمني وهي :

- لو : وورد التمني بها في ثلاث مواضع

- هل : وورد التمني بها في ثلاث مواضع أيضا

- لولا : وورد التمني بها في موضع واحد

- لعل: وورد التمني بها في موضع واحد

التمني بالاسم

هو كل لفظ صح أن يشكل مع غيره جملة ، وجاء على أحد أوزان الاسم ، أو صيغة دل على معنى التمني سواء كان موضوعاً على الأصل كالمأخوذ من جذر لفظة مثل (تمنٍ ، مُنية ، أمنية ، أمنيات ، ، منى ، أمانى ...)

وورد في قوله تعالى "إذ قالت امرأة عمران ربّ أني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني ، أنك أنت السميع العليم ، فلمّا وضعتها قالت ربّ أني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى وأنّي سميتها مريم وأنّي أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم " (٢)

١ - باب أسماء التمني ، أنو لينمان (مجلة كلية الآداب) ، ج ١ ، ص ٩

٢ - سورة آل عمران ، آية ٣٥ - ٣٦

حيث كانت امرأة عمران قد نذرت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس ، وكانت الخدمة حصراً للغلمان ، فدعت الله عز وجل أن يتقبل منها نذرها ولمّا ولدت قالت " ربّ أني وضعتها أنثى ... " ^(١) فقالت ذلك تحسراً على ما رآته من خيبة رجاءها وعكس تقديرها فحزنت وبثت حزنها إلى خالقها ؛ لأنها كانت ترجو أن تلد ذكراً لذلك نذرتة محرراً ^(٢)

وورد أيضاً قوله تعالى " يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا " ^(٣)

وأيضاً قوله تعالى " قال يا ليت بيني وبينك بُعدَ المشرقين " ^(٤)

إذ يتبادر إلى خاطر عند النظرة الأولى أنّ ما قصده المتمني هو أرادة البعد التكويني الواسع الشاسع بين المشرق والمغرب ، وهذا المعنى حاصل في أمنية وحدة المراد ؛ لأنه لو أراد المبالغة في بعد المكان لآتى بتمثيل آخر وهو ما يقصده (بعد السماء والأرض) ^(٥)

-
- ١- سورة مريم ، آية ٣٦
 - ٢- الكشاف ، للزمخشري ، ج ١ ، ص ٥٤٩
 - ٣- سورة الأحزاب ، آية ٦٦
 - ٤- سورة الزخرف ، آية ٣٨
 - ٥- تفسير القرآن العظيم ، للدمشقي ، ص ٨٥

التمني:

هو كل لفظ صح أن يشكل جملة، أي أن يشكل جملة بنفسه أو مع غيره وجاء على أحد أوزان الفعل وصيغته ، ودل على معنى التمني ، سواء كان موضوعا على الأصل كالمأخوذ من جذر لفظه (تمنى ، يتمنى ، تمنّ) ونحو ذلك أم من غيره ، أم موضوعا على المجاز مثل (ودّ ، يدّعي ، أرجع)

فمعنى الوُدّ : بضم الواو وتشديد الدال : محبة الشئ ، وتمني كونه ^(١)

وقيل هو المحبة الكاملة ^(٢)

ومن التعريفين السابقين يتبين أن معنى (ود) يدور حول المحبة ، ومن أحب الشئ تمناه ^(٣)

والمحبة في (ود) تكون محبة مفرطة ، لذلك كان الود بخصوص التمني ^(٤)

فورد الفعل (ود) الذي يقتضي معنى التمني في القرآن الكريم على لسان المؤمنين والكافرين وأهل الكتاب والمنافقين .

كما ورد في قوله تعالى " ولتجدنهم احرص الناس على حياة ، ومن الذين أشركوا يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون " ^(٥)

فاليهود هم أشد الناس حرصاً على الحياة الدنيا ، حتى أكثر من المشركين وأشد الناس كراهيةً للموت ؛ لعلمهم بما أعدّ لهم في الآخرة على كفرهم ؛ لأنهم يؤمنون بالبعث ، ويعلمون ما لهم هناك من العذاب ، والمشركون لا يصدقون بالبعث ولا العقاب ، فاليهود أحرص منهم على الحياة وكره الموت ^(٦)

١ - مفردات القرآن ، للأصفهاني ، ص ٨٦٠

٢ - مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر الرازي ، ص ٨٦٠

٣ - التحرير والتنوير ، لأبن عاشور ، ج ١ ، ص ٦٥٢

٤ - المفردات ، للأصفهاني ، ص ٨٦٠

٥ - سورة البقرة ، آية ٩٦

٦ - جامع البيان عن تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، ج ٢ ، ص ٣

وورد أيضا قوله تعالى " وكثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره أن الله على كل شيء قدير " (١)

هذه الآية بيان لما يضمره أهل الكتاب وما تكنه صدورهم للمسلمين من الحسد على نعمة الإسلام التي عرفوا أنها الحق وأن وراءها السعادة في الدارين (٢)

وقد أسند الحكم إلى الحكم في قوله (كثير منهم) فقال تعالى (ود كثيرٌ من أهل الكتاب) وفي موضع آخر أسند إليهم جميعا في قوله " ما يودُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين (

التمني بالحرف : هو كل لفظ صح أن يشكل مع غيره جملة سواء كان موضوعا على الأصل أم المجاز ، في دلالاته على التمني . وكانت إحدى الصيغ الحرفية والمتحقق منها عند أهل اللغة ستة أحرف، منها أصلي وهو (ليت) وخمسة مجازية وهي (لو ، هل ، لعل ، إلا ، لولا) (٣)

١- سورة البقرة ، آية ١٠٩

٢- المنار ، محمد رشيد رضا ، ج ١ ، ٤٢

٣- مفتاح العلوم ، يوسف بن أبي بكر السكاكي ، ص ٤١٨

المبحث الأول

التمني بالصيغة المباشرة

أولا / معنى الصيغة لغةً واصطلاحاً

الصيغة في اللغة من الصوغ ، مصدر صاغ الشيء يصوغه صوغاً وصياغةً... وصيغة الأمر كذا وكذا أي هيئته التي بني عليها ^(١) وصيغة الكلمة : هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها ، والجمع صيغ ، وقالوا : اختلفت صيغ الكلام أي تراكيبه وعباراته ^(٢)

أما الصيغة اصطلاحاً : فلم يعرف الفقهاء تعريفاً جامعاً للصيغة ، يشمل صيغ العقود والسيارات التي تعرب عن أرادة المتكلم ونوع تصرفه . ويقول بن القيم : أن الله تعالى وضع الألفاظ بين عبارة تعريفاً ودلالة على ما في نفوسهم ، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئاً عرفه بمراده ، وما في نفسه بلفظه ورتب على تلك الإرادات والمقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول . ^(٣)

التمني بالصيغة

والمقصود به كل لفظ ثبتت دلالاته على التمني بصيغة تصح أن تشكل جملة بنفسها ، أو مع ما تنظم إليه فتحقق معنى التمني بذلك لما وضعت الألفاظ إزاء ذلك المعنى لتدل عليه بصيغتها لا بمادتها المعجمية ^(٤)

والوضع أما على الأصل أو المجاز وإفهامها معنى التمني في الثاني ناشئ بفعل قرائن السياق ومعطياته، فانعقد هذا الفصل لاختصاصه بالصيغة ، إذ يمكن القول أن التعبير عن معنى التمني بصيغته هو أساس في التمييز عما دل عليه بمادته

١- الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن القرزويني ، ص ١٥

٢- علم المعاني (دراسة وتحليل) ، كريمة محمود أبو زيد ، ص ٣٢

٣- الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن القرزويني ، ص ١٣٥ - ١٥٠

٤- بلاغة التراكيب (دراسة في علم المعاني) ، ص ١٩٧-٢١٧

أنّ جميع الصيغ المأخوذ بها في هذا المبحث هي من ذوات الأسلوب الإنشائي ،
كونه الصفة اللازمة لأسلوب التمني إلا صيغة واحدة وهي (لو) الشرطية فهي
ليست بإنشاء عند إرجاعها إلى أصل وضعها ، والإنشاء شطر الكلام وهو أحد
مباحث علم المعاني الذي عرفه أهل البلاغة بقولهم " هو علم يعرف به أحوال
اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال " (١)

أي هو الذي يبحث أحوال اللفظ كالتعريف والتذكير ، والذكر والحذف ، والإظهار
والإضمار وغير ذلك (٢)

والإنشاء على ضربين طلبي وغير طلبي

والطلبي : ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ؛ لامتناع تحصيل الحاصل
، والمشهور منه خمسة أنواع :

(التمني ، والاستفهام ، والأمر والنهي والنداء) (٣)

١ - خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، محمد أبو موسى ، ص ٧٥

٢ - النحو الوافي ، عباس حسن ، ج ١ ، ص ٣٧٤

٣ - علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، ص ٦٥

التمني بالصيغة المباشرة

وهو ما تضمن صيغة إنشائية دالة على التمني في أصل وضعها أكتفت بالدلالة المباشرة أي بالمعنى المجرد للتمني ، وقد أقتصر ذلك على صيغة واحدة وهي (ليت) (١)

وقد يحدث أن يؤتى بجملة التمني لغاية لا تقتضي حملها أي _ الجملة _ على غير المعنى المجرد للتمني فيفقد معناه الصريح والمتبين عن طريق الاستدلال السياقي فلا يفرض قرينة مانعة من أرادة المعنى المباشر .

التمني ب (ليت)

وهو حرف يفيد التمني عند جمهور النحويين والبلاغيين وبه تصير نسبة الكلام أنشأء، بحيث لا يحتمل الصدق والكذب ، وتفيد أنَّ المتكلم طالب لتلك النسبة ، وهو أظهر لفظ وضع للتمني (٢)

ويستعمل للممكن بشرط أن لا يكون هناك توقع أو طمع في وقوعه ، وكذلك يستعمل في المستحيل " فليت : حرف يغير معنى الابتداء إلى التمني ، وقد وضع ليستعمل في الأمور المحبوبة كالطمع ، والتمني هو طلبمنية وهو تقدير الإنسان في نفسه حصول أمرا ممكنا أو ممتنعاً" (٣)

ووراء كلمة (ليت) ظمأ لا يروى ، وأنها تصف آمالا حبيسة ورغائب لا سبيل إلى تحقيقها ، وهي الأداة الأساسية في التمني ، وأنَّ البلاغيين لم يتكلموا على إفادة (ليت) غير معنى التمني ، وهذا يدل على عراقة الأداة في هذا الأسلوب .

١- الإرشادات والتنبيهات في علم البلاغة ، محمد بن علي الجرجاني ، ص٤ ، ص١١
٢- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، لأبي العباس الغزي ، ج ٢ ص ٢٣٨
٣- حروف المعاني ، لعبد الرحمن الزجاج ، ص٥

وورد التمني في القرآن الكريم ب(ليت) في صيغ متعددة ولنا أن نعرض بعض هذه الصيغ

كما في قوله تعالى " ولئن أصابكم فضلٌ من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ، يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ، فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً " (١)

إذ جمع المنافقون وضعاف النفوس في هاتين الآيتين على أمرين :

الأول / هو التخلف عن الجهاد في سبيل الله ، والثاني انتحال المعاذير الكاذبة لتخلفهم ، ولا يكتفون بذلك بل يحاولون منع غيرهم من الخروج للجهاد

وأستعمل تعبير (لبيطن) في أسمى درجات البلاغة والروعة ، لأنه يصور الحركة النفسية للمنافقين وضعاف النفوس وهم يقدمون قدماً ويؤخرون أخرى ، عندما يدعوهم داعي الجهاد للخروج من أجل أعلاء كلمة الله تعالى (٢)

(ولئن أصابكم فضلٌ من الله ليقولن)ندامة وتهالكا على حطام الدنيا ، وحسرة على فواته .

وهو في حقيقة الأمر لا يعد نفسه من جملة المؤمنين ، ولا يحسب نصر المؤمنين نصراً له ؛ لأنه لو كان بينه وبين المؤمنين أي مودة لما صدر منه هذا التمني ، وهذا ما ورد في نفيه تعالى لأي مودة تجاه المؤمنين " كأن لم تكن بينكم وبينهم مودة " وذكر كلمة (مودة) على أنها نكرة منفية في سياق التشبيه .. فهي كلمة لا تدرك شأنها كلمة أخرى ولا تنتهي إلى غورها في التأثير (٣)

١- سورة النساء ، آية ٧٢- ٧٣

٢- تفسير الوسيط ، محمد سيد طنطاوي ، ج ٥ ، ص ٢٨٢

٣- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ج ٥ ، ص ٢٥٦

ثانيا /التمني بصيغة الندم والحسرة

قال تعالى " وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ، وهي خاويةٌ على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان منتصراً "(١)

ونزلت هذه الآية في أشراف قريش حين طلبوا من رسول الله أن يطرد فقراء المؤمنين لأنهم كانت تفوح منهم رائحة العرق فتؤذي سادة قريش فضرب الله لهم مثلاً" وأضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا "(٢)

رجل أعطاه جنتين ، وآخر فقير لا مال له ولا نفر وأعطاه الله نهراً يجري داخل الجنتين وسرورا والمال والأنعام (٣)

لذلك صاحب الجنتين قد ملئت نفسه تكبرا وبطراً وغروراً، وضنَّ بطرا أنها لا تبنى أبداً حتى لو قامت القيامة ، فيكون هو من يدخلها ، ثم يأتي التذكير بالفقير والنعم التي أنعم الله عليه وينذره من سوء العاقبة ؛ ولكن دون جدوى .

ثم تكون العاقبة مشهد الدمار الذي أحاطه من جميع الجوانب ولم يسلم منه شيء ، وأما صاحبها فالحسرة والندم والتلهف يعتريه على ضياع جهده وما له في عمارتها فأصدر صرخة " يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ومن خلال هذه الصرخات أستعرض ماضيه وعدم شكر هذه النعم ، ومن فرط دهشته أخذ ينادي نفسه ، وكأنه يراها تجيبه ويقول لنفسه (أحضري فهذا أوانك) لذلك التجأ إلى الله عز وجل ، وأن ثواب الله خيرٌ، وهذا الأمر الذي حصل له قد عجله الله له في الدنيا ؛ بسبب احتقاره المؤمن وجزاء طغيانه (٤)

وفي هذا عبرة وعظة وزجر لمشركي قريش

١- سورة الكهف ، آية ٤٢ -- ٤٣

٢- سورة الكهف آية ٣٢

٣- الموضح في وجوه القراءات وعللها ، ابن أبي مريم ، ج ٢ ، ص ٧٨٠

٤- تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ج ١٥ ، ص ٣٢٨

وجاء في تمني الموت خوف الفتنة

قوله تعالى " فجاءها المخاض إلى جذع النخلة ، قالت ياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً ومنسياً"^(١)

فيضرب الله به مثلاً على قدرته ووحدانيته ، فإنه يخلق ما يشاء تارة بسبب قوي وتارة بسبب ضعيف ، وتارة بلا سبب ، ومن كان كذلك كان مستغنياً عن الولد^(٢)

وعندما ينكشف أمرها بعد ولادتها (ع) تقول " يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً " ^(٣) فكانت بمثابة سيدة النساء لصدقها وعفتها وتحملها لبلاء الدنيا .

قال النبي محمد (ص) : "يأتي على الناس زمان يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه "^(٤)

ومما يلاحظ على هذه الآية أن التمني صَحِبَه الخجل ؛ لعفة المتمني وطهره ، كما يكشف لنا التمني التصوير الدقيق للعواطف الصادقة والانفعالات، إذ الأمانى مرآة تكشف عن دخائل النفوس حين انطلاقها ، معبرة فيها عن أحاسيس صادقة وصبر وأيمان^(٥)

١- سورة مريم ، آية ٢٣

٢- تفسير نظم الدرر ، برهان الدين ألبقاعي ، ج ٢ ، ص ١٨٦

٣- أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد أبو السعود ، ج ٤ ، ص ٣٠٨

٤- سنن أبين ماجه ، أبين ماجه القرزويني ، ج ٥ ، ص ٥٠٢

٥- من أسرار التعبير البياني بالحروف المشبهة بالفعل بالقرآن الكريم ، ص ١٣١

وهناك تمنى بصيغة الاعتراف بالذنب بعد فوات الأوان في قوله تعالى " ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً " (١)

إذ يصور الله مشهد من مشاهد يوم القيامة وفيه ندم شديد للفرق في قوله (ويوم يعضُّ الظالم على يديه) لفرط تأسفه لما يرى فيه من الأهوال ، فلا يكفيه يدٌ واحدة يعض عليها لذا تراه يداول بين هذه وتلك ، وهي حركة معهودة يُرمز فيها إلى حالة نفسية (٢)

وهو يتأوه ويلات ويتمنى بعدم اتخاذ فلاناً خليلاً في قوله (لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) ثم يؤول إلى التذكير أن أضلال البشر هو من عمل الشيطان إذ هو توضيح لتعلله باللام القسمية للمبالغة في بيان خطئه ، واستظهار ندمه وحسرتة وقوله (وكان الشيطان للإنسان خذولاً) وهو كلام الله فيه تنبيه للناس ، بأن الضلال من عمل الشيطان ؛ لأن الشيطان خذولٌ للإنسان ، مجبولٌ على شدة خذله

١ - سورة الفرقان آية ٢٧-٢٩

٢ - تفسير في ضلال القرآن ، سيد قطب ، ص ٢٥٦٠

وجاء في قوله تعالى تمنّ جديد بأسلوب كظم الغيظ

قال تعالى " وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا أنا أليكم مرسلون " (١)

إذ بعد تكذيب أصحاب القرية لرسول الله عززهم تعالى بثالث ؛ لصدق دعوتهم ؛ فأجرى لهم من الكرامات ما أبرء به المرضى وأحى به الموتى بأذن الله ، وأصبح لهم أتباع مؤمنون ، غضب رؤساء البلاد وأرادوا أن يبطشوا بهم فسمع بدعوتهم رجل مؤمن موحد يسكن في طرق المدينة فجاء سعياً على قدميه (والسعي أكثر ما يستعمل في الأمور المحمودة) فأمر ونهى وصارح القوم بتوحيده (٢)

وكان من باب أولى أن لا يُيقن هذا الرجل في مدينتهم وقد صارحهم ، لم يذكره تعالى أنما عدّ له عداد ما لا يحتاج إلى ذكره ، وقال جواباً لمن تشوق إلى علم حاله بعد ذلك بقوله إجازاً في البيان ترغيباً لأهل الأيمان " قيل له بعد قتلهم إياه " (٣)

وإنما عبر عن استشهاده إغماضاً لهذا المعنى عن المشركين ؛ كي لا يسرهم قتله فيحملوه من جملة ما ضرب به المثل لهم وللرسول فيطمعوا في قتل الرسول (ص) ، فهذه الكناية لا يفهمها إلا أهل الإسلام الذين تقرر عندهم التلازم بين الشهادة في سبيل الله ودخول الجنة (٤)

١- سورة يس ، آية ١٣- ١٤

٢- لطائف الإشارات ، عبد الكريم القشيري، ج ٣ ، ص ٢٢٨

٣- نظم الدرر ، أبو الحسن برهان الدين البقاعي ، ج ١٥ ، ص ١١٤

٤- التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ج ٢٢ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١

وهناك تمنى ورد في قوله تعالى خرج إلى معنى طلب الإدراك والتمنى بتدارك ما قد يحصل من مواقف مهولة يوم القيامة كما في قوله تعالى " أنا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المؤمن ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً " (١)

فأفتتح سبحانه وتعالى السورة بأسلوب الاستفهام لتشويق السامع إلى المستفهم عنه وتهويل أمره ، وتعظيم شأنه ، فالمشركون كانوا يتساءلون عن النبأ العظيم والخبر الهام الذي جاءهم به الرسول (ص) والذي نطق به القرآن الكريم ، من أن البعث حق ، وأن القرآن الكريم من عند الله ، وأن الرسول صادق فيما يدعوهم إليه ؛ ولكن سؤالهم كان بطريق المنكر المستهزئ ، فقطع سبحانه أعمارهم أبلغ وجه فقال (أنا أنذرناكم عذاباً قريباً ، أي من الآيات الناطقة بالبعث وما بعدها من الدواهي الوارد وصفها في القرآن الكريم ، أخبرناكم بحصوله في وقت تستطيعون فيه من أبعاد أنفسكم من الوقوع فيه) (٢) ، ولما حذر سبحانه من العذاب القريب عين وقته مشدداً لتهويله ، فقال (يوم ينظر المرء) الصالح والطالح (ما قدمت يداه) وهو ما أسلف من الأعمال في الدنيا من خير وشر ، فعند مشاهدة هذا اليوم ومعرفة ما أعده تعالى من أنواع العذاب يتمنى الكافر أمنيته (يا ليتني كنت تراباً) متمنياً أن يكون غير مدرك ولا حاس كما هو التراب فينعدم ويتحول إلى عنصر مهمل زهيد حقير لا يلتفت إليه ولا يحاسب (٣) وفي ذلك تلief وتندم على ما قدمت يداه من الكفر

١ - سورة النبأ ، آية ٤٠

٢ - الوسيط ، محمد سيد طنطاوي ، ج ٣٠ ، ص ٣٦٥

٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب الأندلسي المجازي ، ص ٤٢٩

المبحث الثاني

نقف في هذا المبحث على بعض الصيغ اللغوية المنقولة عن معانيها الأصلية إلى معنى التمني فدلالاتها ليس في أصل وضعها ؛ وإنما استمدت ذلك أثر تفاعلها مع معطيات السياق مستندة إلى قرائن في إفادة ذلك المقصد وتحديده ، فقد يفرض المجال السياقي على جملة التمني قيوداً يحتم عليها الانتقال إلى دلالات إيحائية غير مباشرة وموانع نصرها من التزام الدلالة المباشرة للجملة ، وأن كانت العلاقة بينها حاضرة ، وحتى في الدلالات الغير مباشرة نجد أن القرائن السياقية تأخذ الدور الفاعل في تعدد المعاني التي تندرج تحت الجملة الواحدة ^(١) ، وتنبه الأذهان إلى مجاوزة المعاني الأولى لها للكشف عن ما احتوته من المعاني الثواني وليس بالمتنع أن تكون الجملة بواسطة تلك القرائن دالة على المعنيين ^(٢)

أن جميع الصيغ المأخوذ بها في هذا المبحث هي من ذوات الأسلوب الإنشائي ؛ كونه الصفة اللازمة لأسلوب التمني إلا صيغة واحدة وهي (لو) الشرطية ، فهي ليست بإنشاء عند إعادة وضعها إلى أصلها .

والإنشاء هو شطر الكلام ، وهو أحد مباحث علم المعاني ، الذي عرفه علماء البلاغة في قولهم "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ، أي هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ مثل التعريف والتكثير ، والذكر والحذف والإظهار والإخفاء وغير ذلك" ^(٣)

١- دلالات التراكيب ، محمد أبو موسى ، ص ٢١١
٢- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، محمد أبو موسى ، ص ٧٥
٣- الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين القرطبي ، ص ١٣٥

والإنشاء على ضربين طلبي وغير طلبي (فالطلبي) ، وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ؛ لامتناع تحصيل الحاصل، والمشهور منه خمسة أنواع (التمني ، الاستفهام ، والأمر ، والنهي ، والدعاء)^(١) .

أما غير الطلبي : وهو ما لا يستدعي مطلوباً حاصلاً ، والمشهور منه خمسة أيضاً وهي : صيغ المدح ك(نعم وبأس) ، وألفاظ العقود ك(بعث واشتريت) ، والقسم نحو (تالله لأصدقك) ، والتعجب مثل (ما أجمل الصدق) ، وللرجاء ب(لعل وعسى)^(٢)، والجملة الإنشائية غير الطلبية يتحقق غالباً مدلولها بمجرد النطق بها دون أن يكون طلبياً .

أولاً / صيغة الشرط (لو)

وهو حرف استقبال بمعنى (ليت) في المعنى لا في اللفظ ، ولا تكون إلا إذا كان الأمر مستحيلاً، أو في حكم المستحيل

ويرى البلاغيون أن (لو) المستعملة في التمني ، هي في الأصل (لو) الشرطية الأمتناعية ، يقول المغزى " وقد يتمنى ب(لو) على وجه التوسع ، ولو كان أصلها الشرطية ، وذلك نحو قولك (لو تأتيني فتحدثني) أي (ليتك تأتيني فتحدثني) بالنصب ، فالنصب دليل على خروج (لو) عن أصلها من الشرط^(٣)

وأصل استعمالها كثير للتمني ، إذ أنها في الأصل تدخل على الممنوع وإكماله والمجال هو المتمنى كثيرا^(٤)

١- النحو الوافي ، عباس حسن ، ج ١ ، ص ٣٧٤

٢- رصف المباني ، أحمد عبد النور ، ص ٣٦٠

٣- حاشية الصبان على شرح الدشم وني ، ألفية ابن مالك ، ج ٤ ، ص ٤٦

٤- مواهب الفتاح بن يعقوب المغربي ، ج ٢ ، ص ٢٤٢

وذكر الدسوقي أنَّ الدافع للعدول عن التمني ب(ليت) إلى التمني ب(لو) هو الأشعار بعزة متمناه ، حيث أبرزه في صورة ما لم يوجد ؛ لأن (لو) بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع^(١)

في جملة قوله تعالى " وبرزت الجحيم للغاوين ، وقيل أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله أن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين"^(٢)

فهنا جاء التمني في صيغة فرض غير واقع واقعا بعد استبعاد النجاة في يوم القيامة فتقرب الجنة وتُدنى تكريماً للمؤمنين ورفعاً لمكانتهم قبل أن يدخلوها ، حتى يستقر الروح والحزن وبدت منها عنقاً فزفرت زفرة واحدة بلغت منها القلوب الحناجر^(٣)

١ - شرح التلخيص ،، إبراهيم الدسوقي ، ج ٢ ، ص ٢٤١

٢ - سورة الشعراء ، آية ٩٢ - ١٠٢

٣ - تفسير القرآن العظيم ، أبن كثير الدمشقي ، ص ٤٥٤

ثم يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً أين الإلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله ، وضننتم أنها ستنتفعكم وتنجيكم من هذا المصير الذي وصلتكم إليه؟ ، وبعد ذلك التئيس وفجأة يُلقون في النار على وجوههم وقدح الآلهة حتى يشاهد الغاؤون سوء حالهم فيأسوا من النجاة^(١)

بعد هذا العرض البسيط الذي أستههدف بشكل أساسي نقل التصورات الفنية لتلك الآيات المباركة وكانت الغاية منه إبراز المسوغات الدلالية لذلك النظم القرآني، ومحاولة لاستكمال العناصر الدلالية للنص المقروء ، نوظف ما سيق قوله في خاتمة المشهد الأخروي وهي الآية التي جمعت ما كان مجزوءاً، وأجملت ما كان مفصلاً، وجاءت تلو الآيتين المكنى بها وهي قولهم " لو إن لنا كرة فنكون من المؤمنين " فهذا التمني ليس أحادي الجانب، وإنما هو ذو دلالة مركبة .

فهم أرادوا الرجعة لينالوا الفضيلتين فضيلة الأيمان والتوحيد ، وفضيلة الانتماء إلى الجماعة المؤمنة ، فلم يقولوا فلوا لنا كرة فنؤمن "على شاكلة قولهم في موضع آخر " وقال الذين أتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار "^(٢)

١ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، ص ٥٢٩

٢ - سورة البقرة ، آية ١٦٧

وإنما أتوا ب(من) التبعية ليشعر الكلام أنهم بعض من الجماعة المؤمنة أو بالضرورة ، في الوقت نفسه يكونون من أهل التوحيد وهذا ما اضطربهم أن يستعوضوا ب(لو) عن (ليت) لبيان شدة استحالة حصول المتمني وأيضاً لإتمام المعنى فهي " حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الثاني لامتناع الأول " (١)

فمنهم من قال عند تفسير الآية بأن (لو) يجوز إن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو لعلنا كيت وكيت ، وهي تحتل أن يقصد بها المعنيان فيجتمع فيها شدة اليقين بعدم الرجعة لما يقتضيه المعنى الأصل مع شدة التمني والحسرة عليها ، وبهذا تفترق عن (ليت) لأن الأخيرة تعطي المعنى المجرد للتمني ، وعليه يحكم على قولهم بأنه تمن من جهد

واعترف منهم وبلسانهم أن ما يتمنونه ضرب من المحال باستحضر معناها الأصلي من جهة ثانية ، فهو أثبات من قبل المتكلم باستحالة وقوع الشيء ، ثم يتمنى هذا المحال ، وهذا تصوير للشيء المطلوب على أنه بعد ما يتمكن من التحقق وإدخال ما يمكن في اليأس ، فليس المتمني حسرة يحدثون بها عن أنفسهم بل حسرتان والواحد منها تكفي لصيرورة الأمر إلى التعذر

ثانياً /صيغة الترجي ب(لعل)

لعل : حرف مشبه بالفعل وهو من أخوات (أن) ، تنصب الاسم وترفع الخبر ، وقد عملت (لعل) عمل الفعل ؛ لأن فيها معنى الفعل ، فمعنى (لعل) : ترجين ، ولأنها على أربعة أحرف مثل (دحرج) ، وهي مبنية على الفتح مثل الفعل الماضي (٢)

١- الجنى الداني ، للمالكي ، ص ٢٧٣

٢- الكتاب ، لسيبويه ، ج ٢ ، ص ١٤٨

والغرض البلاغي الذي تفيده (لعل) في التمني هذا ؛ لدلالة استحالة الأمر المتمن بها وذلك لبعد المرجو عن حصول ^(١)

وفي قوله تعالى "وقال فرعون يا أيها الملا ما علمتُ لكم من آله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فأجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى آله موسى وأني لأضنه من الكاذبين " ^(٢)

قال فرعون يا أهل مصر يا أيها الملا ما علمتُ لكم من آله غيري فلا تطيعوا موسى ، وهذه إحدى كلمتيه التي أخذها الله بها والأخرى فقال " أنا ربكم الأعلى " ^(٣)

ثم قال فأوقد لي يا هامان على الطين فأجعل لي صرحاً، يصفأ أوقد النار على اللبن حتى يصير أجراً ، ثم عطف عليه قوله صرحاً، أي قصرأ طويلاً مشرّفاً وهو المنارة ^(٤)

وقوله لعلي أطلع إلى آله موسى الذي يدعوا إليه ، فإنه ليس في الأرض أحدٌ بهذا الوصف الذي ذكره فأنا أطلبه في السماء موهما لهم ، أنّ مما يمكن الوصول إليه على تقدير صحة الدعوى بأنه موجود وهو قاطعٌ بخلاف ذلك ؛ ولكنه يقصد المرافقة من وقت لآخر لعلمه أنّ العادة جرت بأنّ أكثر الناس يظنون بالملوك القدرة على كل ما يقولونه ثم زادهم شكاً بقوله مؤكداً الأجل ومع ما أستقر في الأنفس من صدق موسى : أنّه من الكاذبين ^(٥)

١- شرح المفصل ، لأبن يعيش ، ج ١ ، ص ١٠١

٢- سورة القصص، آية ٣٨

٣- سورة النازعات ، آية ٢٤

٤- الكتاب ، لسبويه، ج ٢ ، ص ١٤٨

٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين ألبقاعي ، ج ٥ ، ص ٤٢٠

ذلك جانب يسير اطلعنا فيه على معنى الآية المباركة ، وحاجتنا هنا متوقفة على سبب استعمال لفظ الترجي في هذا النص نيابة عن اللفظ الموضوع للتمني مع تلبس معناه ، ولعل صيغة الآية يكشف لنا الإبعاد الدلالية لذلك العدول الوظيفي للأداة (لعل) فلو تبصرنا في عموم الآية نجد أنّ أذهاننا ستنتقل بإحدى ميزاتها وهي عملية للانتقاء اللفظي وأثرها البالغ في أثبات لزومية مجئ التمني على هيئة الترجي باستعمال الحرف (لعل) ^(١)

وفي قوله تعالى " وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله أمكثوا ، أني أنست نارا لعلني أأتيكم بقبس أو أجد على النار هدى " ^(٢)

إذ تتحدث هذه الآيات عن موسى وهو عائدٌ إلى مصر بعد انقضاء الأجل ومعه أهله والوقت ليل والجو ظلمة وقد ضل الطريق ، والليله كما يبدو من أسنة من نار شاهدها ليأتي منها بخبر أو جذوة ، ثم أخذ يقصد النار التي آنسها ليصل إلى شاطئ الوادي إلى جوار جبل الطور ^(٣)

والمأمل لهذا المعنى يجد أنّ كل الظروف التي أحاطت بموسى ، كانت مهيأة من لدن الله ولم يكن لنبي الله يد في إيجادها وهذا هو المفترق بين النصين كما سيأتي إيضاحه ؛ ولكن قبل ذلك نلاحظ وجه المناسبة من خلال التقارب اللفظي بين المشهدين والفرق بينهما ، فالمشهد المتضمن قصة موسى سبقت فيه كلمات أتسمت بالتعليل والتلطف والتخفيف ويقابله قول فرعون الذي كل شيء فيه يدل على التكثير والشدة والمبالغة ، فنجد أنّ قوله (أنس) يقابله (أجعل) و (جانب الطور) صرحاً ، وقيل أنّ هذا الصرح لم يرَ في الدنيا بناء أعلى منه ^(٤) ، و (أهلة) يقابله (الملا) ، و (أنست ناراً) يقابله (أوقد) والفرق واضح بينهما من حيث الصيغة ، والأثر الصوتي الناتج من حروفهما (ولعلي أأتيكم) يقابله (لعلني أطلع) وماضي الفعل أطلع على وزن أفتعل ، والمبالغة هي من أشهر معاني هذه الصيغة ^(٥)

١- التحرير والتنوير ، لأبن عاشور ، ج ٢٠ ، ص ١٢٣

٢- سورة طه ، آية ٩-١٠

٣- في ضلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٥ ، ص ٤٢٥

٤- تفسير القرآن العظيم ، لأبن كثير ، ج ٦ ، ص ٢٣٨

٥- الحقول الصرفية للأفعال العربية ، عبد الحميد عبد الواحد ، ص ٨٢

- بنية الفعل قراءة في التصريف العربي ، عبد الحميد عبد الواحد ، ص ١١٤

١- هل : وضعت للاستفهام ، إلا أنها تستعمل أداة للتمني في الموضع الذي يعلم انتقاء الشيء المتمني، يقول السيوطي : وقد يتمنى ب(هل) حيث يعلم فقده^(١)، نحو قوله جل جلاله "هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ، قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون " (٢)

يقول القرزويني وقد يتمنى ب(هل) كقول القائل هل لي من شفيع؟ (في مكان يعلم أنه لا شفيع له فيه ؛ لإبراز المتمني – لكمال العناية به- في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفاءه ، ويمكن وقوعه^(٣) كما في قوله تعالى " قالوا ربنا أمتنا اثنتين ، وأحيينا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل " (٤)

وقد اختلف المراد من قوله (أمتنا اثنتين) فقليل : أراد بالأمتين ، خلقهم أمواتاً أولاً وأماتهم عند انقضاء آجالهم ، وبالحياتين الحياة الأولى في الدنيا والحياة الثانية البعثية وقد دل على ذلك قوله تعالى " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون " (٥)

١- الإتيان في علوم القرآن ، للسيوطي، ج ٣، ص ٣٥١

٢- سورة الأعراف ، آية ٥٣

٣- مواهب الفتح ، ص ٢٤٠

٤- سورة غافر ، آية ١١

٥- سورة البقرة ، آية ٢٨

وقيل الموته الأولى في الدنيا والثانية في القبر بعد الأحياء للسؤال ، والأحياء الأول أحياءه في القبر بعد موته والثاني للبعث ^(١)

ويقصد بذلك أحداث الاعتراف بما كانوا يذكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم :
فاعترفوا بذنوبهم

والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ، ليتوسلوا في ذلك إلى ما علقوا به أطماعهم
الفارغة من الرجوع إلى الدنيا كما قد صرحوا به ، وهو طلب أي نوع من الخروج
سريعا كان أم بطيئاً للخلاص لكن اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه ،
وهذا كلام من غلب عليه اليأس ، وإنما يقولون ذلك تحيرا ^(٢)

وقد ذهب أهل التفسير إلى أنّ طلب سبيل الخروج باستعمال هذا الأسلوب يمثل حالة
اليأس والقنوط عند أولئك المتمنين ، لكنه بوجه آخر يعزز معنى العجز والتسليم
المطلقين ، فلا يمكن لشئ أن يصور هذا المعنى إلا إذا ذكر الإماتة والأحياء مع
تضعيف كل منهما لكونهما خارجين عن قدرة الإنسان ، ولا يتوقف وقوعهما على
اختيار منه ؛أنما هو أمر الله جلّ جلاله ليس غيره ، ووجه المقاربة بين المقامين
أنهم في الأول كانوا مسيرين لا مخيرين ، وفي الثاني طلبوا أن يفعل بهم الأمر
نفسه ، عندما أرادوا الخروج من النار لوجود قرينة دالة على ذلك وهي لفظة
الخروج ، واستعملت منهم الأحداث المماثلة بين المواقف باختيارهم أمثل تعبير ،
يمكن أن يوضح وبشكل دقيق الحالة النفسية المتزامنة مع طلبهم بتمني الخروج ^(٣)
وفي قوله تعالى " ومن يُضلل الله فما له من ولي من بعده ، وترى الظالمين لَمَّا رَأَوْا
العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل " ^(٤)

١ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد ، ج ٤ ، ص ٦٩

٢ - المصدر نفسه ، ص ٦٩

٣ - التحرير والتنوير ، أبين عاشور ، ج ٩ ، ص ١٥٥

٤ - سورة الشورى ، آية ٤٤

يبين الله جل جلاله أنَّ من خذله فليس له ناصر يتولاه من بعد خذلانه ، وذلك لأن نفسه ميالة في البعد عن الحق بمحض اختيارها أي يتولى أمره بالهداية بالبيان لما أخفاه الله عنه أو التوفيق لما بينه له وفي هذا تحفيز لأمر الكفرة يوم القيامة فلا يبالي بهم أحد من المؤمنين^(١)

وعندما يعاين الظالمون العذاب المفرط وهيئتهم قبل أن يدخلوا النار ويعذبوا ولسوء ما عاينوا أختصر الله صفتهم وذكر المعاينة لعظم ما شاهدوه من عذاب شديد قد شمل جميع الأنواع والأهوال ، فقد يجدون أنَّ الفرصة ما زالت ساحة للنجاة بأي وسيلة من هذا العذاب الذي عانوا أهواله ، فالرغبة جارفة قوية ، والأمل ما زال حيا في الهروب أو الرجعة إلى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة للنجاة^(٢)

٣- أين : كما في قوله تعالى " يقول الإنسان يومئذ أين المفر " (٣)
أنَّ الكافر يكذب بما أمامه من البعث والحساب فيسأل متى يكون ؟ على وجه الإنكار والتكذيب فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب ، ولكن يأثم لما بين يديه^(٤)

والسؤال هنا سؤال متعنت ومستبعد لقيام الساعة ؛ ولذلك ينكر المعاد ويكذب بالبعث والنشور^(٥)

وأیضا قوله تعالى " وأقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين " (٦)
" يشخص بصر الكافر يوم القيامة فلا يطرق لما العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا " (٧)

١- الوجيز ، ابن عطية ، ج ١٣ ، ص ٦٤٣

٢- نظم الدرر ، للبقاعي ، ج ٦ ، ص ٦٤٣

٣- سورة القيامة ، آية ١٠

٤- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ١٩ ، ص ٩٤

٥- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ج ٣ ، ص ٤٣٣

٦- سورة الأنبياء ، ص ٩٧

٧- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص بن علي الدمشقي ، ج ١٩ ، ص ٥٥٠

وقرأ نافع وأبان عن عاصم بفتح الراء والباقون بكسرها ، وقيل هما لغتان في التحير والدهشة ، ومعناه لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطوف ، واصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره وقيل : الحجة لمن كسر أن الكسر لا يكون إلا في التحير ، وأما الفتح فلا يكون إلا في الضياء وظهوره كقولهم " برق الصبح والبرق " إذا لمعا وأضاءا . (١)

والمكذب يوم القيامة ، والمفر يحتمل وجهين : أحدهما (أين المفر من الله) استحياء منه ، والثاني : (أين المفر من جهنم) حذراً منها ، موضع الفرار ووقته ، وهو أيضا الفرار نفسه ، والجملة تحتل المعاني الثلاثة (٢)

وقوله جل جلاله " كلا لا وزر " أي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل ، وكانوا إذا فزعوا لجئوا إلى الجبل فاحتموا به ، فقيل لهم : لا جبل لكم يومئذ تحتمون به (٣)

وأصل (الوزر) الجبل المنيع ، ويحتمل هذا إن يكون من كلامه جل جلاله ، إذ يقال للقاتل (أين المفر) ، ويحتمل أن يكون من تمام قول الإنسان ، كأنه بعد أن يقول (أين المفر) يعود على نفسه فيستدرك ويقول (كلا لا وزر) (٤)

كان ذلك النص القرآني منطلقاً لنا في توجيه البعد الدلالي الذي تبلورت على أثره جملة التمني والمتحققة في قولهم (أين المفر) وليس ما دعا إلى صيرورة هذه الجملة إلى معنى الاستحالة الذي هو الركن الأساسي في موضوع التمني ، وما اقصده هو الوحدات السياقية الظاهرة منها والمحجوبة ، فالتركيبة التي شكلت ذلك النص ، قد أفاد معناها الظاهري تلك الدلالة ؛ ولكن ما نحن بصددده هو البحث عن مكنوناته الغائرة في بواطن السياق لنصل في ما آل الأمر إلى استخلاص السمة الفنية الداعية إلى قولهم (أين المفر) على هذا النحو من التعبير ، آخذين بذلك ما حكاه أهل التفسير في معاني تلك الآيات وغيرها (٥)

-
- ١ - أعراب القراءات السبع وعللها ، أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، ج ٢ ، ص ٤١٤
 - ٢ - مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ، ج ٢ ، ص ١٨١
 - ٣ - لسان العرب ، احمد بن مكرم بن منظور ، ج ٥ ، ص ٢٨٢
 - ٤ - روح المعاني ، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي ، ج ٢٩ ، ص ١٤٠
 - ٥ - غريب الحديث ، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ، ج ٢ ، ص ٤٦٧

أذا تدبرنا الآيات الثلاث السابقة بجملة التمني التي تشكلت من فعل الشرط وما عُطِفَ عليه ، وإنها قد أحكمت برباط وظيفي كان الجامع بينهما واقع في ضربين

الأول / الخروج من المألوف ؛ وذلك عند خروج الشئ إلى ضده باعطاءه صيغة تظهره على هيئة مغايرة عما اعتاده الإنسان وألفه ، فقوله (شاخصة أبصار) معناه كما سيق أن يشخص البصر ولا يطرف وهذا امتضاء مع طبيعة خلقه ، وقُرأت (بلق) باللام عوض عن الرائ أي أنفتح وأتفرج ، يقال بلق الباب ، أبلقته وبلقته فتحته ، ويقال بلق وأبلق إذا أُغلق^(١) ، فهو أيضا يدخل في الأضداد ، وحقيقة البرق نارٌ محدثة عند اصطكاك أجرام الهواء وهذا أكثر ما يكون عند الانتقال من البرد إلى الحر وبالعكس^(٢)

الثاني / حدوث الظلام وانعدام الرؤية / نلمس في كل من الآيات السابقة إحياء يدل على الظلام ومحو الضياء ، فيتسبب عنه زوال الأبصار ، ففي قوله تعالى " فإذا برق البصر ، يزداد عليه المعنى السابق وهو قولهم : برق بصره أي ضعُف^(٣) ، وقيل دهش فلم يُبصر ، ويقال أن الأصل في ذلك أن يرى الرجل البرق ولمعانه ، فيضعف بصره فيقال (برق الرجل) ، فإذا أنعدم البصر انعدمت الرؤية

وقوله (أنخسف القمر) أي ذهب ضوءه وأظلم وهذا يؤكد معنى الظلام أما قوله جل جلاله " وجمع الشمس والقمر "

فقد قيل فيه : جمع بينهما في ذهاب ضوءهما فلا ضوء للشمس ، كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه ، ويؤكد هذا أن أول موضع في القرآن الكريم بعد هذه الآية ، يذكر فيها وجود الشمس هو سورة التكوين في قوله " إذا الشمس كورت " أي أظلمت أو ذهبت .. أي جمع الشئ بعضه إلى بعض ، والدلالة هنا واضحة في زوال ضوءها وظلامها^(٤)

١- روح المعاني ، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي ، ج ٢٩ ، ص ١٣٩

٢- الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، ص ٢٤٦

٣- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، ج ١٠ ، ص ١٤

٤- غريب الحديث ، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ، ج ٢ ، ص ٤٦٧

رابعاً / صيغ الأمر : والوارد منها صيغتان :

^{١-} صيغة فعل الأمر : كما في قوله تعالى " وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال " ^(١)

يقول الله جل جلاله مخاطباً نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) " وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب " وأريد باليوم هنا يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ، أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى ، وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب ^(٢)

فعطف عليه قوله (يأتهم العذاب) فذلك العذاب عذاب الآخرة ، فالتأخير بمعنى تأخير الحساب ، أي يقول الذين ظلموا أرجعنا إلى الدنيا لنجيب دعوتك ، فالتأخير يعني الإعادة إلى الحياة الدنيا مجازاً مرسلأ؛ لأن التأخير تسبب عن الإرجاع والرسل جميع الذين جاءوهم بدعوة الله جل جلاله ، وأن حمل على عذاب الدنيا .

فالمعنى : أن المشركين يقولون ذلك حين يرون ابتداءً العذاب فيهم ، فالتأخير على هذا حقيقةً، والرسل على هذا المحمل مستعمل في الواحد مجازاً والمراد به نبينا محمد (ص) ^(٣)

١- سورة إبراهيم ، آية ٤٤

٢- الكشاف ، للزمخشري ، ج ٢ ، ص ٥٢٩

٣- التحرير والتنوير ، ، ابن عاشور ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨

فجمع الرسل أما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد ، وكون عصيانهم
للرسول عصياناً لهم جميعاً ، وأما باعتبار المحكي كلام ظالمي الأمم جميعاً
، والمقصود بيان وعد كل أمة باتباع رسولها ^(١)

ثم يأتي قوله جل جلاله " أولم تكونوا أقسمتم من قبل هذا اليوم ما لكم من
زوال " فورد هذا القول توبيخاً وتقريراً ، والمعنى (أو لم تكونوا أقسمتم من
قبل هذا اليوم ما لكم من زوال من دار الدنيا) وجاء بلفظ الخطاب في (ما لكم
من زوال) لمراعاة (أقسمتم ولولا ذلك لقال (ما لنا من زوال) ^(٢)

وجملة قوله تعالى " ويوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أنظرونا نقتبس من
نوركم ، قيل أرجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه
الرحمة وظاهره من قبله العذاب " ^(٣)

فهذا بيانٌ لأحوال أهل الأيمان والنفاق يوم القيامة ، والله جل جلاله قد أخبرنا عن
الأول منها ، ثم أنتقل إلى الحديث عن أصحاب النفاق ، واصفاً المشهد الواقع عليهم
فقالوا : أنظرونا نقتبس من نوركم ، فلما قالوا ذلك قال لهم المؤمنون أو الملائكة
زجرا لهم وتهكماً بهم (أرجعوا وراءكم إلى الموضع الذي أخذنا منه النور) أي
أطلبوا هناك نوراً لأنفسكم فإنه من هنالك يقتبس.

وقيل أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة تهكماً بهم . ^(٤)

١ - تفسير أبي السعود ، لأبي السعود ، ج ٥ ، ص ٥٦

٢ - فتح القدير ، للشوكاني ، ص ١١٦

٣ - سورة الحديد ، آية ١٣

٤ - فتح القدير ، للشوكاني ، ج ٥ ، ص ١٧٠

ويصح أن يراد ب (الوراء) الدنيا ؛ لأن هذا النور إنما هو بسبب ما عملوا فيها من الأعمال الزاكية والمعارف الصافية (١)

وجاء في معناها (هو حائطٌ بين الجنة والنار ، وقيل هو حجابٌ في الأعراف ، وهؤلاء المنافقون ينادون المؤمنين أنظرونا نقتبس من نوركم ، أي في دار الدنيا كنا نشهد معكم ، قالوا بلى ولكنكم معنا في دار الدنيا أي استحملتموها في الفتنة ، وأهلكتموها بالنفاق وقيل بالشهوات واللذات . (٢)

أي بالتوبة وتربصتم بمحمدٍ (ص) الموت ، فقلتم يوشك أن يموت فتستريح منه ، أو كنتم تتربصون دائرة السوء بالمؤمنين لتلتحقوا بالكفار وتتخلصوا من النفاق (٣)
أي شككتكم بالتوحيد أو النبوة أو البعث . (٤)

-
- ١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ألبقاعي ، ص ٥٤٥
 - ٢- اللباب في علوم الكتاب ، للحنبلي ، ج ١٨ ، ص ٤٧٥
 - ٣- مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي ، ج ٢٩ ، ص ١٩٨
 - ٤- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص بن علي الدمشقي ، ج ١٨ ، ص ٤٧٥

وقيل طول الأمل وهو ما كانوا يتمنونونه من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر بهم ،
فالأمني هنا قيل هي الدنيا في قولهم (سيغفر لنا)^(١)

أنَّ ما يمكن أن يعيننا على الوصول إلى الفهم الدقيق بحمله التمني ، هو ما ورد في
السياق من إحدى الألفاظ الموضوعية للدلالة على التمني في أصل معناه وهي ما
تضمنته الآية السابقة ، فهذه اللفظة وقفت رابعة ضمن الترتيب الحدتي المقسم على
خمسة مواقف في قول المؤمنين :

"ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني" وهو تقسيم حدثي متدرج
مقصود ، وكل واحد فيه هو سابق على الآخر المأتي به بعده ، وهي بمجموعها
شكلت الركن الأساسي في إنشاء الظاهرة السياقية التي بدأت بقولهم (فتنتم أنفسكم)
أي أهلكتموها بالنفاق أو بالشهوات واللذات .

وأصل الفتنة في قول ابن منظور (وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا
أذيتها بالنار لتمييز الردى من الجيد)^(٢)

فالمقصد الأول هو التمييز والفصل بين المعادن ، ثم أدرج تحت هذا الأصل
احتمالات عدة منها قولهم (الفتنة والامتحان والاختبار)^(٣)

وقال الخليل : والفتنة : العذاب ، والفتنة : أن يفتن الله قوماً أي يبتليهم^(٤) وغير
ذلك ، وهذه المعاني كلها تدل على أصل واحد وهو التمييز والفصل بين أنواع
الجنس الواقع عليهم فعل الفتنة ، سواء أكان بين المعادن لفصل جيدها من رديئها أم
بين الناس في الابتلاءات والاختبارات ؛ لتمييز الصابرين الثابتين عن الجزعين
المرتدين^(٥)

١- النكت والعيون ، للمارودي ج ٥ ، ص ٤٧٥

٢- لسان العرب ، لأبن منظور ج ١٣ ، ص ٣١٧

٣- الصحاح ، للفخر الرازي ، ص ٧٩٥

٤- العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ج ٨ ، ص ١٢٧

٥- الكشف والبيان ، للزمخشري ، ج ٩ ، ص ٢٣٨

٢- المضارع المقرون بلام الأمر ، كما في قوله تعالى " أنَّ المجرمين في عذاب جهنم خالدون " (١) ، أنَّ هؤلاء الكافرين في العذاب أي لا يقصد أضعافه بنوع من الضعف ، ففي التفتت نوع من الفتور وهو من قولهم : فترت عنه الحمى ، إذا سكنت قليلا ونقص حرها (٢) وقال ابن فارس : الفاء والتاء والراء أصلٌ صحيح بدل عن ضعف في الشئ ، فلا يخفف عنهم العذاب (٣) والمبلس : اليائس الساكت سكوت يلي من خرج ، وقيل يحمل المجرم في تابوت من نار ثم يردم فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى (٤) ولما كان مفهوم الأبلاس السكوت ، يبين الله جلَّ جلاله أنهم ليسوا ساكتين دائما ، ثم أنَّ المنادي خازن النار مؤكدا بأدائه بقوله جل جلاله " ونادوا يا مالك ليقضي علينا ربك قال أنكم ماكنون (٥) أي سله سؤالا حتما أن يقضي القضاء الذي لا قضاء مثله وهو الموت على كل واحد منا ، واللام في قولهم (ليقض علينا) لام الطلب والرغبة والمعنى ، أمتنا مرة حتى لا يتكرر عذابنا (٦) وقرأ الجمهور (يا مالك) بدون ترخيم وقرأ علي بن مسعود ويحيى بن وثاب والأعشى (يا مال) بالترخيم (٧) على لغة من ينتظر المحذوف وحسن الترخيم هنا ؛ لأنهم بلغوا من الضعف والنحافة إلى حيث لا يمكن أن يذكروا من الكلمة إلا بعضها ، وقرأ الفتوى : يا (مأل) مبني على الضم على لغة من (لا ينتظر) (٨) ثم أجابهم قائلا : أنكم ماكنون ، أي في العذاب أبدا لا خلاص لكم ، وقيل أنه لا يجيبهم إلا بعد ألف سنة ، وقيل بعد مائة ، وقيل بعد أربعين سنة (٩)

-
- ١- سورة الزخرف ، آية ٧٤-٧٥
 - ٢- مقاييس اللغة ، للرازي ، ص ٥٠٨
 - ٣- السراج المنير ، شمس الدين الشر بيني ، ج ٣ ، ص ٦٧٩
 - ٤- الكشف ، للزمخشري ، ج ٤ ، ص ٢٦٦
 - ٥- سورة الزخرف ، آية ٧٧
 - ٦- البحر المحيط ، للأندلسي ، ج ٨ ، ص ٢٨
 - ٧- فتح القدس ، للشوكانى ، ج ٤ ، ص ٥٦٥
 - ٨- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص بن علي الدمشقي ، ج ١٧ ، ص ٢٩٤
 - ٩- تفسير بن مسعود ، ج ٨ ، ص ٥٥

وقد يقع في الخاطر سؤال مضمونه لماذا توجهوا إلى مالك خازن النار؟ وطلبوا
القضاء بواسطته دون الطلب المباشر من الله جل جلاله ؟

فلم يقولوا (ربنا أقض علينا) وخاصة أنا نلاحظ في آيات كثيرة ، أنهم يقصدونه في
ذلك عند الدعاء والاستغاثة ومنها المثال السابق لجملة التمني ، وذلك قولهم :"
وأندر الناس يوم يأتئهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب
دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال "(١)

وقولهم " إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا أنا موقنون "(٢)

خامساً / صيغة التحضيض (لولا) : وهو حرف لا عمل له ، يتضمن معنى
الشرط فهو يختص بالفعل المضارع والفعل الماضي ، وقد يليها ام معمول لفعل
معتل أو ما في تأويله (٣)

وإذا وقع الفعل المضارع بعدها أفادت التخصيص وهو طلب الشيء ب (حث
وإزعاج) مثل (لولا تدرس)

بخلاف العرض وهو طلب الشيء بلين وتأدب .(٤)

١- سورة إبراهيم ، آية ٤٤

٢- سورة السجدة ، آية ١٢

٣- الأزهري في علم الحروف ، للهيروني ، ص ١٦٣

٤- لسان العرب ، لأبن منظور ، ج ٣ ، ص ٢١٩

ولا يكون التخصيص في الماضي الذي فات ، ألا أنها تستعمل كثيراً في لوم
المخاطب ، على أنه ترك في الماضي شيئاً يمكن تداركه في المستقبل ، وقلمما
تستعمل إلا في موضع التوبيخ واللوم على ما كان يفعله المخاطب (١)

وهذا الحرف يتولد منه التمني ، وإنما توصل بالتمني إلى هذا الحد ؛ لأن التمني هو
بداية الرغبة حتى يتعلق بالمحال فناسب التحضيض

فالمعنى في (هلا تقوم) أي (ليتك تقوم) (٢) قال تعالى في كتابه العزيز " وأنفقوا
مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخرتني إلى أجل قريب
فأصدق وأكن من الصالحين " (٣)

إذ يدعوا الله عز وجل عباده المؤمنين المخلصين إلى الحذر من الإقبال على الدنيا
ولهوها والاعتزاز بها ،

وحذر من الانشغال بالأولاد والأموال ؛ لأنّ مَنْ يشتغل بتنمير أمواله عن تدبير
أحواله فأولئك هم الخاسرون ، العريقون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي
بالحقير الفاني (٤).

-
- ١- شرح المفصل لأبن يعيش ، ج ٨ ، ص ١٤٤
 - ٢- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، أبن يعقوب المغربي ، ج ٢ ، ص ٢٣٨
 - ٣- سورة المنافقون ، آية ١٠
 - ٤- ينظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو بركات النسفي ، ج ٣ ، ص ١٨١٤

ثم يرغبهم في البذل ويحثهم عليه وأتباع الله عز وجل ، والتحذير من أخلاق المنافقين ، ويدعوهم إلى تدارك الوقت والعمر من قبل أن يرى أحدهم دلائل الموت ، ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الأنفاق ، ويفوت وقت القبول ويتحسر على المنع ، ويعرض أنامله على ما كان ممكناً منه ، وقدم المفعول على الفاعل وذلك بالاهتمام بالمقدم والتشويق بالمؤخر^(١)

حينئذ يتذكر ربه ويناديه مقبلاً عليه بالحض من خلال التمني ، حيث أن التمني بداية الرغبة طالبا الأمر المحال في إعادة المحال وتكرار تأخير الأجل مبيناً أن غايته من التأخير ؛ ليقضي فيه العمل الصالح فقط ، وليس يتسع الأمل حينئذ فيبادر إلى التصديق الذي كان قد دعى إليه إذا علم أن التصديق من أسباب الصلاح والطاعة كما أن تركه من أسباب الفساد والفسق^(٢)

وهناك ملحوظ بلاغي وهو زيادة الياء في (أخرتني) بينما حذف في سورة الإسراء (وَأَلَّا أُخْرِتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وذكر الياء ؛ وذلك أنها ترد في فعل التأخير مرتين في سورة المنافقين ، في حين ذكر مرة واحدة في سورة الإسراء فزاد في مواطن ، وحذف في مواطن الاجترأ^(٣)

١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، للثعالبي ، ج٤ ، ص ٣٠٦

٢- تفسير روح البيان ، مصطفى الحنفي ، ج ٩ ، ص ٥٤١

٣- التفسير القرآني (دراسة بيانية) في الأسلوب القرآني ، ص ٨٥

الخاتمة

من خلال دراسة خصائص التمني ودواعي ذكره في كتاب الله واستقصاء أهم أنواعه ، علمنا أن هذه الدراسة تهدف إلى معالجة الصور المختلفة وإبراز المعاني الدلالية ، والخصائص الأسلوبية التي ذكرت في القرآن الكريم ، وقد كان لهذه الأساليب التي ذُكرت في القرآن والتي تعدُّ جزءاً من علم البلاغة الدور الفاعل في أعجاز كتاب الله ، فهو كتاب أزلي عالج مختلف قضايا المجتمع البشري في كل زمان ومكان بما يخص الحياة الأولى والحياة الآخرة وأستعمل أساليب علم المعاني في أغلب الأحيان للتنبيء والتحذير واستدراك الموقف ، هذا وقد اعتمدت على مصادر موثوقة وتفسير قرآنية لها شأن في إيضاح المعنى اللغوي والبلاغي ، ومناقشة الآراء وإبداء الرأي وترجيح البعض منها إضافة إلى المعاجم اللغوية الرصينة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ونشكر الله على نعمة القرآن ونسأله أن ينفعنا ويرفعنا به ، ويجعله لنا لا علينا ، وأن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكتب لنا شرف خدمة كتابه والعمل به ، وأن زللنا أو أخطأنا (فجل من لا يخطأ) والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ط١ ، دار الفكر لبنان ، ١٩٩٦م
- ٣- أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد أبو السعود ، دار أحياء التراث العربي بيروت ، د.ت
- ٤- الإرشادات والتنبيهات في علم البلاغة ، محمد علي الجرجاني ، تحقيق ، عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر - القاهرة ، د.ت
- ٥- الأسلوب ، أحمد الشايب ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٦م
- ٦- أعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي بيروت ، ١٩٩٠م
- ٧- أعراب القراءات السبع وعللها ، أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، حققه : عبد الرحمن القيسي ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٢م
- ٨- الأزهرية في علم الحروف علي بن محمد الهروي ، ، تحقيق : عبد المعين الملوحي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ، ، ١٩٨١م
- ٩- الكشف من حقائق التنزيل وعيون التأويل ، أبو القاسم محمود الزمخشري ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار أحياء التراث العربي بيروت ، د.ت
- ١٠- الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين القزويني ، تحقيق : محمد عبد المنعم ، ط٣ ، دار الجيل - لبنان
- ١١- باب أسماء التمني ، أنوليتمان (مجلة كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول ، مج١١، ج١ ، ١٩٩٤م
- ١٢- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد ، والشيخ علي محمد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١م
- ١٣- البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس ، ط٤ ، دار الفرقان ، ١٩٩٧م
- ١٤- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر عاشور التونسي ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي-بيرون ، ٢٠٠٠م

- ١٥- تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن كثير ،تحقيق : سامي سلامة ،ط٢ ، دار طيبة ، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- ١٦- تفسير روح البيان ،إسماعيل حقي الحنفي ،دار إحياء التراث العربي د.ت
- ١٧- تفسير في ضلال القرآن ، سيد قطب ،ط٣٤ ، دار الشروق – بيروت ٢٠٠٤م
- ١٨- تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق الأندلسي المجازي ،ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت
- ١٩- تفسير نظم الدرر، برهان الدين ألبقاعي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ، دار الكتب العلمية –بيروت ، ١٩٩٥م
- ٢٠- الجامع الأحكام القرآن أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، دار أحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥- ١٩٨٥ م .
- ٢١- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٠م
- ٢٢- الجنى الداني في حروف المعاني ، أبو محمد الحسن بن قاسم الراوي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٣- ١٩٩٢م
- ٢٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن الثعالبي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات -بيروت ، ١٤٧١م
- ٢٤- حروف المعاني ، عبد الرحمن أسحق الزجاج ، تحقيق : علي توفيق ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، بيروت -١٩٤٥
- ٢٥- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد عبد النور المالقي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، ١٩٧٥م.
- ٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي ، دار أحياء التراث العربي –بيروت ، د.ت
- ٢٧- سنن ابن ماجه ، ، لأبن ماجه ، تحقيق بشار عواد ، ط١ ، دار الجيل –بيروت ، ١٩٩٨م.
- ٢٨- ألصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها ووصف العرب في كلامها ، ابو الحسن أحمد بن زكريا ، تعليق : احمد حسن ، ط١ ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.
- ٢٩- الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط٢ ، دار المعرفة - بيروت، ٢٠٠٧م

- ٣٠- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ط ١ ، دار الصابوني القاهرة ، ١٩٩٧م.
- ٣١- علم المعاني (دراسة وتحليل) ، كريمة محمود أبو زيد ، ط ١ ، مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٨٨م
- ٣٢- العين ،للخليل بين أحمد الفراهيدي ، ، تحقيق : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال
- ٣٣- غريب الحديث أبو سلمان حمد الخطابي ، تحقيق : عبد الكريم الغرباوي ، مكة المكرمة ١٤٠٢
- ٣٤- فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية من علم التفسير ، حمد علي الشوكاني ، دار المعرفة بيروت
- ٣٥- الكليات ،أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق : عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م
- ٣٦- لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور ، ط ١ ، دار صادر - بيروت ، د.ت
- ٣٧- لطائف الإشارات ، عبد الكريم القشيري ، تحقيق : إبراهيم سبوني ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م
- ٣٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات حافظ الدين النسفي ، حققه : يوسف علي بديوي ، ط ١ ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ١٩٩٨م
- ٣٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الرافعي ، ط ٢ ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر - ١٩٠٦م
- ٤٠- مفاتيح الغيب ، محمد الرازي ، دار إحياء التراث العربي -بيروت ، ١٩٩٢م.
- ٤١- مفردات ألفاظ القرآن ، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، دار القلم - دمشق ، د.ت
- ٤٢- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، دار أحياء التراث العربي -بيروت ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .
- ٤٣- المقتضب ،لأبي العباس محمد المبرد،تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب -بيروت، د.ت
- ٤٤- مناهل القرآن في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزر فاني ، ط ٣ ، دار الفكر ، ١٩٨٨م .
- ٤٥- مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح ، أبن يعقوب المغربي ، ط ٢ ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٢هـ

- ٤٦- الموضح في وجوه القراءات وعللها، بن أبي مريم، الجمعية الخيرية
لتحفيظ القرآن، ط١، جدة، د. ت
- ٤٧- من أحرار التعبير البياني بالحروف المشبهة بالفعل في القرآن الكريم
، هاشم محمد هاشم، القاهرة، ١٩٩٤م
- ٤٨- النكت والعيون، علي الماوردي، ط١، مؤسسة الثقافة، بيروت،
١٩٩٢